أسباب ضعف أهل الحق

فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

الآجري
WWW.AJURRY.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده-تَعَالى-ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمَّدًا عبده ورسوله-صَلَّى الله عَلَيه وَعَلى آله وصَحْبِه وَسَلَّم.

أمَّا بعد:

فأحمد الله عَزَّوَجَلَّ الذي يسَّر لنا هذا اللقـــاء، ونســـأله جَلَّوَعَلَا أن يبارك لنا ولكم فيه.

والكلمة أيُّها الإخوة أو الكليمة هي عبارة عـــن تـــذكير وذكـــرى والذكرى تنفع الْمؤمنين، هذه الكلمة التي أرغب في التذكير بِها للإخوة.

أقول: لا يخفى عليكم أيُّها الإخوة ما يتعرَّض له الإســـلام الحـــق-الإسلام الحقيقي-الذي جاء به النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ من هجمـــة شرسة لا هوادة فيها، وحرب مستعرة على الحقِّ وحملته، فترى تكـــاتف أهل الأهواء وأهل الشبهات مع أهل الشهوات وكلٌّ يضرب عن قـــوسٍ واحدة، ولا يخفى عداء أهل الكفر للإسلام الحق-هذا أمٌ بيِّنٌ-، وكـــلٌّ يضرب ويحاول أن يزلزل ويزعزع ويغيِّر في هذه الثوابت الحقَّة.

في مقابل أنَّك ترى وتلحظ الضعف البيِّن فيمن ينتسب إلى هذا الإسلام الحق الذي جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصار عليه وسار عليه أصحابه-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم وَأَرْضَاهُم-من بعده، والتابعون ومن سلك سبيلهم من أئمَّة الهدى والدين.

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين لَمَّا تكلَّم عن الغربة، قال: (...فَالْإِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ...) الذي جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من بعده (...غَرِيبٌ جِدًّا، وَأَهْلُهُ غُرَبَاءُ أَشَدُّ الْغُرْبَةِ بَيْنَ النَّاسِ....)[1] أهـ.

هذا التكاتف من أهل الضلال والأهواء والانحراف-شهوات وشبهات-لا يفترون أو لا يكاد يفتر اجتهادهم في النيل-كما قلت-من الحق وأهله، مع الضعف الشديد في كثير مِمَّن ينتسب إلى هذه الدعوة المباركة-دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه-.

فالقاعدة الْمضطَّردة التي ذكرها أهل العلم كشيخ الإسلام[2] وغيره أنَّه: ما قويت السنَّة في مكان إلَّا وضعفت فيه البدعة وكلَّمَا ضعفت السنَّة في ذلكم المكان قويت البدعة.

---

[1] ج:٤، ص: ٣١٦٨ / دار الصميعي ط:الاولى ١٤٣٢هـ

[2] قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (...وَكُلَّمَا ضَعُفَ مَنْ يَقُومُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ قَوِيَتْ الْبِدْعَةُ...)[مجموع الفتاوى/ مذهب جهم]

ولا شك أنَّ السنَّة لا تضعف وإنَّمَا الذين يضعفون هم حملتها والذَّابون عنها، ولا يكون الضعف إلَّا بسبب رئيس وهو: ضعف العلم الشرعي السنِّي وضعف حملته.

فكلَّمَا ضعف العلم السنِّي الصافي النَّقِي-أعني: بضعف حَمَلَتِه-اشتدَّ أهل الأهواء في النيل-كما قلت-من الحق وأهله، وتنفتح الأبواب والأماكن على الناس والشبهات من هنا وهناك يصرخون في وجوه أهل الحقِّ بأصناف وألوان عديدة وكثيرة مخالفة للحق إمَّا عن شهوة أو عن شبهة.

ولعلَّ الواحد منكم يسأل: ما الخلاص وما العلاج؟.

فالعلاج قد بيَّنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[3]، في حديث العرباض بن سارية الشهير المشهور، وفيه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو الشاهد من الحديث: (...فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا...).

ما هو طريق الخلاص والنجاة؟.

الجواب في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (...فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،

[3] [النجم: ٤]

وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ...) الحديث[٤].

فهذا الحديث العظيم الذي أخرجه أصحاب السنن وغيرهم، وهو أقلُّ أحواله أنَّه حسن قد اشتمل على ركيزتين أساسيَّتين هما:

١- **وجوب الاتباع.**

٢- **والنهي عن الابتداع.**

فإذن: إذا رغبنا في دحض ودحر جنود إبليس من أهل الشهوات والشبهات فلا خلاص لنا-بعد توفيق الله جَلَّوَعَلَا وسؤاله العون والسداد-إلَّا بتحصيل العلم الشرعي النقي الصافي السنِّي.

وحقيقته-أعني: هذا العلم-بيَّنها الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم الفوائد[٥] حيث يقول: (...أَعْلَى الْهِمَمِ فِي طَلَبِ العِلْمِ: طَلَبُ عِلْمِ الكِتَابِ وَ السُّنَّةِ، وَالفَهْمِ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ...) صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ (...نَفْسَ الْمُرَادِ، وَ عِلْم حُدُودِ الْمُنْزَّلِ وَأَخَسُّ هِمَمِ طُلَّابِ العِلْمِ قَصْرُ هِمَّتِهِ عَلَى تَتَبُّعِ شَوَاذِّ الْمَسائِلِ، وَ مَا لَمْ يَنْزِل وَ لاَ هُو وَاقِعٌ، أَوْ كَانَتْ هِمَّتُهُ مَعْرِفَةَ الاخْتِلافِ وَتَتَبُّعَ أَقْوالِ النَّاس، ولَيْسَ لَه هِمَّةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّحِيْحِ مِنْ تِلْكَ الأَقْوَالِ، وَقَلَّ أَنْ يَنْتَفِعَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤلاءِ بِعِلْمِهِ...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

[٤] صحيح الجامع (٢٥٤٩ - ١١٨٤)

[٥] الفوائد، ص: ٦٤/ دار ابن الجوزي/ الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ)

وهذا الكلام المختصر الوجيز هو بيان منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لحقيقة العلم النافع الذي يثمر عملًا صالِحًا.

يقول الإمام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وَالْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ وَالْكَمَالُ وَالصَّلَاحُ مُنْحَصِرٌ فِي نَوْعَيْنِ: فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ؛ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ...)[٦] أهـ.

فيا إخوتاه: لا يمكن-كما قلت-دحر تلك الشهوات والشبهات إلَّا بسيف العلم والسنَّة، فالتسلُّح بِهذا هو الحصن بإذن الله-تَعَالَى-وتوفيقه، الذي من تترَّس به صان نفسه ودافع عنها ودحر العدو وردَّ الكيد في النحر.

ولا تخفى عليكم الأدلَّة من نصوص الوحيين في فضل العلم وشرف أهله، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾[٧].

ذكر الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة هذه الآية معلِّقًا بقوله: (...إنَّ الله-سُبْحَانَه-جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرمُ أكلُها! وأباحَ صيد الكلب المعَلَّم، وهذا مِنْ شَرَف العلم أنَّه لا يباحُ إلا صيد

---

[٦] مجموع الفتاوى، ج: ١٩، ص: ٩٩/ المكتبة التوفيقية

[٧] [المائدة:٤]

الكلب العالِم، وأمَّا الكلب الجاهل فلا يحلُّ أكل صيده؛ فدلَّ على شرف العلم وفضله، و لولا مزيَّة العلم والتعليم وشرفه كان صيد الكلب المعلَّم والجاهل سواء...)[٨]، وهذا من دقيق الفقهِ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والآيات والأحاديث كثيرة، من ذلك أيضًا ما أخرجه الإمام البخاري في الصحيح[٩]: (...قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، قَالُوا...) أي الصحابة-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم-فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: العِلْمَ).

يقول أهل العلم ومنهم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا وجه النفع والترابط بين هاذين-أعني: بين شرب اللبن والعلم-، قال: (...ووجه التعبير بذلك من جهةِ اشتراك اللبن والعلم في كثرة النَّفعِ، وكونهما سببًا للصلاحِ؛ فاللبنُ للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي...)[١٠]أهـ.

يقول الإمام البخاري[١١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح في كتاب الفرائض مُعَلِّقًا-أو مُعَلَّقًا-على عقبة بن عامر، قوله: (تَعَلَّمُوا قَبْلَ الظَّانِّينَ).

---

[٨] مفتاح دار السعادة، ج:١، ص:٥٥

[٩] (٨٢)

[١٠] فتح الباري، ج: ٧، ص: ٥٦

[١١] (كتاب الفرائض/ ٢- باب تعليم الفرائض، ص: ١٢٥٧/ دار الغد الجديد)

علَّق الإمام البخاري شارحًا، قال: (...يَعْنِي: الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالظَّنِّ).

قال النووي شارحًا كلام الإمام البخاري، قال: (...معناه: تعلموا العلمَ مِنْ أهله المحقِّقين الورعينَ قبلَ ذهابِهم ومجيء قومٍ يتكلمون في العلمِ بِمثل نفوسهم وظنونِهم التي ليس لَها مستندٌ شرعيٌّ...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مقدِّمة المجموع له[١٢].

فإذا علمتم هذا أيُّها الأحبَّة وعرفتم هذا الأمر تبيَّن لكم أهميَّة العلم السنِّي الصحيح والتسلُّح به في مواجهة هذه الهجمات الشرسة المسعورة المستعرة.

ولعلَّكم تلحظون بين الفينة والأخرى ظهور القواعد الفاسدة التي هي مغلَّفة بأغلفة تدَّعي أنَّها تسير على منهاج السلف أو أنَّها على سَنَن أهل العلم، وما أكثر تلك القواعد وتلك التأصيلات الفاسدات، والقواعد الباطلات، وليس لَهم همٌّ إلَّا زعزعة ثوابت أهل السنَّة في نفوس الناس.

فهل نحن محتاجون كلَّ مرَّة إلى أن يخرج لنا أشباه طلَّاب العلم؟، لا أقول: طلَّاب علم، لأنَّ طالب العلم هو من حقَّقَ حقيقة العلم الذي ذكرناه آنفًا من كلام الإمام ابن القيِّم.

---

[١٢] المجموع، ج:١، ص:٤٢

فأزيد مقالة للإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحنبلي في كتابه: فضل علم السلف على علم الخلف[١٣]، قال: (...فَالْعِلمُ النَّافعُ من هَذه العُلُوم كُلِّها: ضَبْطُ نُصُوصُ الكتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَهْمُ مَعَانيها، وَالتَّقيُّدُ فِي ذَلكِ بِالْمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابعين وتَابعيهمْ؛ فِي مَعَانِي القُرْآن وَالْحَديثِ، وَفِيْمَا وَرَدَ عَنْهُم مِن الكَلاَمِ فِي مَسائلِ الْحَلالِ وَالْحَرامِ، والزُّهْدِ وَالرَّقائقِ وَالْمَعَارِفِ وَغَير ذَلكِ، وَالاجْتِهَادُ فِي تَمْيِيز صَحيحهِ مِنْ سَقِيْمهِ أوَّلاً، ثُمَّ الاجْتِهَادُ فِي الوقُوفِ عَلَى مَعَانيهِ وَتَفَهُّمهِ ثَانياً، وفِي ذَلكَ كِفَايةٌ لِمَنْ عَقَل، وَشُغْلٌ لِمَن بِالعِلْمِ النَّافعِ عُني واشْتَغل...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فما أكثر تلك القواعد الفاسدة الخارجة عن هذا الوصف، فهل نحن محتاجون أن يأتينا كلَّ يوم واحد وآحاد يقولون: منهاج أهل السنَّة، ومنهاج أهل الحقِّ، ومنهج السلف، وموقف السلف، وغير ذلك، وأصول وقواعد، وتأصيل وأصَّل ويؤصِّل وما اشتق منها، نصحِّح ولا نجرِّح، من حاكم حوكم، اختلافنا في غيرنا لا يوجب اختلافًا بيننا، وهكذا كل يوم نحن في نِحْلَة وفِرْقَة، وقول ضعيف باطل لو تأمَّلوه ما قالوه، وغير ذلك من القواعد في كلام كثير وهذيان كثير.

[١٣] (ص ٤٥)

ولو قرأتم كلام السلف على الحقيقة، فهذه كلمات الإمام الْهُمَـــام- إمام أهل السنَّة-الإمام أحمد، وهؤلاء أئمَّة الســـنَّة كمالـــك والشـــافعي والأوزاعي وغيرهما من سادات الأمَّة، هـــل في كلمـــاتِهم مثـــل هـــذه التأصيلات: أصَّل ويؤصِّل؟.

أَلَم يقع في عهد الإمام أحمد تلك الفتنة العمياء التي فتنت كثير مـــن الناس-فتنة القول بخلق القرآن-؟، ومع هذا لَمَّا خرج الإمام أحمـــد مـــن السجن قال المقالة المشهورة: (...مَا أَعْلَمُ النَّاسَ فِي زَمَانٍ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ...)[١٤]، يعني: إلى تفهُّمِه والعمل به، مع أنَّه عصر ذهبي في تبليغ السنَّة، يريد أن يؤلف الإمام أحمد منهاج أهل الســـنَّة والجماعة بكذا وكذا وكذا، ولكنَّه ألَّف الرسائل العظيمة المختصـــرة في أصول السنَّة ليدفع الباطل ويظهر الحق، بغير هـــذه الشنشـــنات وهـــذه التشغيبات.

وعلى كلٍّ: فالطريق مَخُوْفٌ وطويل [...][١٥] قريب والرحيل أقرب، والله جَلَّ وَعَلَا بالمرصاد وإليه المرجع والمعاد، والناقد بصير ﴿ فَمَن يَعْمَلْ

[١٤] الآداب الشرعية، ج: ٢/ ص: ٣٨، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة.

[١٥] كلمة غير مفهومة.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[16].

أسأل الله لي ولكم وللجميع التوفيق السداد، وأن يثبِّتنَا على الإسلام والسنَّة حتَّى نلقاه إنَّه جواد كريم.

وصلَّى الله على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قام بتفريغها: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الاثنين الموافق: ٥/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٤ للهجرة النبوية الشريفة.

موقع علمي متخصص في المتون العلمية و طلب العلم الشرعي

[16] [الزلزلة:٧-٨]